ميناء عِصْيــون جابـر (تل الخليفـة)

(دراســـة تاريخيـــة)

د/ عمـاد عبد العظيم أبوطالب
مدرس تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم
eaa02@fayoum.edu.eg – كلية الآداب – جامعة الفيوم

الموقع والتسمية:

تقع مدينة "تل الخليفة" على بُعد ٥٠٠ متر شمال خليج العقبة، وعلى بعد أربعة كيلو مترات غرب مدينة العقبة[١]، ويتوسّط موقعها بين مدينتي: "أم الرشراش" و"العقبة الحالية"[٢]، وكانت الثلاث مناطق (أم الرشراش– العقبة– تل الخليفة) على اتصال تاريخي، حيث لم يوجد منافذ للمياه العذبة بين أم الرشراش وتل الخليفة، ولذا كان يتم إرسال الجمال لجلب المياه، إما من آبار تل الخليفة، أو من العقبة[٣]، وأشار بعض الباحثين إلى أن عصيون جابر كانت تُعد لسانًا يمتد شرق سيناء[٤].

وتشير التوراة إلى موقع عصيون جابر: أنه بجانب منطقة "أيلة"، على شاطئ بحر سُوف، في أرض أدوم[٥]، وتشمل مساحته حوالي ٤ دونم[٦]، ويشكل تلاً قليل الارتفاع، حوالي ٤ متر عن الأرض[٧]، وموقع عصيون جابر موقع استراتيجي، من حيث وقوعه على امتداد خليج العقبة على ساحل البحرالأحمر، وكان ملتقى الكثير من الطرق البرية والبحرية،

1- Glueck, N., "The Topography and History of Ezion-geber and Elath", ***BASOR***, 72 (Dec., 1938), p. 2; Sellin, E., "Zur Lage von Ezion-Geber", ***ZDPV*** 59, H. 1/2 (1936), p. 123; Köhler, L., "Zum Ortsnamen Ezion-Geber", ***ZDPV*** 59, H. 3/4 (1936), p. 193

2- Pratico, G., "TellEl Kheleifeh", ***OEANE***, 3, 1997, p. 293.

3- Glueck, N., Op.Cit, p. 2.

4- Robinson, J., The First Book of Kings, Cambridge Bible Commentary. Cambridge: Cambridge University Press, 1972, p. 123.

٥ – الملوك أول: ٩/ ٢٦.

٦ – الدونم يعادل ١٠٠٠ متر مربع (كيلو)، وهو مصطلح شائع استعماله أكثر من الكيلو في بلاد الشام.

7- Glueck, N., "Albright, W., The First Campaign at Tell el-Kheleifeh (Ezion-geber)", ***BASOR*** 71 (Oct., 1938), p. 5.

وكان يربط بين عدة مناطق، حيث يصل بين شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام، عبر وادي عربة، ونشطت به التجارة، جعل المنطقة مطمعًا للكثير من الدول المجاورة [٨].

وبدأت أولى الحفائر في عصيون، عام ١٩٣٨، على يد الأثري الألماني "فريتز فرانك Frank, F.," وهو الذي أشار إلى أن "تل الخليفة" هو الموقع المقصود بعصيون جابر، الوارد في التوراة[٩]، ثم تابع "نيسلون جلوك Glueck, N.," الحفائر بها في عام ١٩٣٨م، وقام بثلاثة مواسم حفائر فيه، وأكد على أن موقع تل الخليفة الحالي هو عصيون جابر الوارد في التوراة [١٠].(**أنظر أشكال ١، ٢، ٣** التي توضح تطور الحفائر في الموقع)

وفيما يخص الأسماء التي أطلقت على الموقع: فقد وردت في نصوص الملك "شاشانق الأول" (٩٣١- ٩١٠ ق.م)، على أنها ميناء في منطقة أدوم[١١]، وكتبت على لوحته باسم ngbry ، وكانت المدينة رقم ٧٤ [١٢]، ويرى "سيمونس Simons, S." أنه عادة ما يحدث خلط بين g و x [١٣]، وأن النطق الصحيح لها هو" xbry " وليس gbry، وإن كان الباحث يرى أن : من الصعب الخلط بين x وg ، كما أن "xbry" قد تشير إلى معنى "الخابيرو" أو "العابيرو".

جاء ذكرها في التوراة في عدة مواضع، أهمها: أنه مكان استقر به جزء من العبرانيين قبل وصولهم إلى بريّة صين " قادش"، حيث تشير التوراة : (٣٣ثمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ

8- Malena, S., Fertile Crossroads The Growth and Influence of Interregional Exchange in the Southern Levant's Iron Age I-II Transition, Examined through Biblical, Epigraphic, and Archaeological Sources, PhD Thesis, Published, California Univ. 2015, p. 153.

9- Frank, F., "Aus der 'Araba. I. Reiseberichte", ***ZDPV*** 57, H. 3/4, 1934, p. 244.

10- Glueck, N., "The Bible in the Light of Modern Archaeological Discoveries", ***JES***27, No. 8, Israel (Apr., 1954), p. 364.

11- Moon, C., A political History of Edom in the light of recent Literary and Archaeological research, PhD, published, Emory Univ., 1971, p. 111.

12- Wilson, K., The Campaign of Pharaoh Shoshnq I into Palestine, PhD thesis , John Hopkins Univ. Published, 2001, p. 179.

13- Simons, S. J. Handbook for the Study of Egyptian Topographical Lists Relating to Western Asia. Leiden: Brill. 1937, p. 184.

حُورِ الجِدْجَادِ وَنَزَلُوا فِي يُطْبَاتَ. ٣٤ثمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ يُطْبَاتَ وَنَزَلُوا فِي عَبْرُونَةَ. ٣٥ثمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ عَبْرُونَةَ وَنَزَلُوا فِي عِصْيُونَ جَابِرَ. ٣٦ثمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ عِصْيُونَ جَابِرَ وَنَزَلُوا فِي بَرِّيَّةِ صِينٍ (وَهِيَ قَادِشُ)[١٤]. وجاء ذكرها مرة أخرى في سفر التثنية باعتبارلها محطة استقرار في طريق خروج العبرانيين من مصر حيث تذكر التوراة(٨فَعَبَرْنَا عَنْ إِخْوَتِنَا بَنِي عِيسُو السَّاكِنِينَ فِي سَعِيرَ عَلَى طَرِيقِ العَرَبَةِ عَلَى أَيْلَةَ وَعَلَى عِصْيُونَ جَابِرَ ثُمَّ تَحَوَّلْنَا وَمَرَرْنَا فِي طَرِيقِ بَرِّيَّةِ مُوآبَ)[١٥].

وورد ذكر عصيون جابر بعد ذلك في سفر الملوك أول، حيث كانت قاعدة للأسطول والسفن التي بناها الملك سليمان عليه السلام(٩٣٦- ٩٢٤ ق.م)، ويذكر السفر (٢٦وَعَمِلَ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ سُفُناً فِي عِصْيُونَ جَابِرَ الَّتِي بِجَانِبِ أَيْلَةَ عَلَى شَاطِئِ بَحْرِ سُوفٍ فِي أَرْضِ أدوم. ٢٧فَأَرْسَلَ حِيرَامُ فِي السُّفُنِ عَبِيدَهُ النَّوَاتِيَّ الْعَارِفِينَ بِالْبَحْرِ مَعَ عَبِيدِ سُلَيْمَانَ، ٢٨فَأَتُوا إِلَى أُوفِيرَ، وَأَخَذُوا مِنْ هُنَاكَ ذَهَباً أَرْبَعَ مِئَةِ وَزْنَةٍ وَعِشْرِينَ وَزْنَةً، وَأَتُوا بِهَا إِلَى الْمَلِكِ سُلَيْمَانَ)[١٦].

ثم ورد في سفر الأخبار الثاني (١٧حِينَئِذٍ ذَهَبَ سُلَيْمَانُ إِلَى عِصْيُونَ جَابِرَ وَإِلَى أَيْلَةَ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ فِي أَرْضِ أدوم. ١٨وَأَرْسَلَ لَهُ حُورَامُ بِيَدِ عَبِيدِهِ سُفُناً وَعَبِيداً يَعْرِفُونَ الْبَحْرَ فَأَتُوا مَعَ عَبِيدِ سُلَيْمَانَ إِلَى أُوفِيرَ وَأَخَذُوا مِنْ هُنَاكَ أَرْبَعَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ وَزْنَةَ ذَهَبٍ وَأَتُوا بِهَا إِلَى الْمَلِكِ سُلَيْمَانَ)[١٧]. ثم جاء ذكره مع ملك يهوذا "يهوشافاط" واتحاده مع أخزيا ملك إسرائيل لإنشاء السفن فيه، حيث تذكر التوراة (٣٥ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ اتَّحَدَ يَهُوشَافَاطُ مَلِكُ يَهُوذَا مَعَ أَخَزْيَا مَلِكِ إِسْرَائِيلَ الَّذِي أَسَاءَ فِي عَمَلِهِ. ٣٦فَاتَّحَدَ مَعَهُ فِي عَمَلِ سُفُنٍ تَسِيرُ إِلَى تَرْشِيشَ فَعَمِلاَ السُّفُنَ فِي عِصْيُونَ جَابِرَ)[١٨].

واستمرت عصيون جابر تُعرف بهذا الاسم حتى القرن العاشر قبل الميلاد، ثم استولى الأدوميين عليها مرة أخرى وأطلقوا عليها اسم "أيله"، وأشار عزريا إليها باسم "أيله" وأعاد بناءها بمسمّى جديد ليصبح اسمها "إيلات/ أيله"[١٩]، ومن المرجح أن الاسم

---

[١٤]- سفر العدد: ٣٣/ ٣٣-٦.
[١٥]- سفر التثنية: ٢/ ٨.
[١٦] - سفر الملوك أول: ٩/ ٢٦-٨.
[١٧]- سفر الأخبار الثاني: ٨/ ١٧-٨.
[١٨]- سفر الأخبار الثاني: ٢٠/ ٣٥-٦.
[19]- Glueck, N., "Ezion-Geber", ***BA*** 28, No. 3 (Sep., 1965), p. 85.

"أيله" مشتق من شخص يدعى "أيلاه" وهو أحد النبلاء أو الأمراء الأدوميين[٢٠]. ثم أطلق السكان المحليون عليها اسم تل الخليفة" ليصبح الاسم الحديث لها.

ويقسم المؤرخون طبقات عصيون جابر الأثرية، عمومًا، إلى مجموعة عصور أو فترات زمنية، ترتبط بكل طبقة أثرية منها: العصر الأول وهو القرن العاشر قبل الميلاد، وتحديدًا فترة سليمان عليه السلام، والفترة الثانية في القرن التاسع وهي ما تعاصر فترة يهوذا، وتحديدًا عصر يهوشافاط، والفترة الثالثة تعاصر القرن الثامن قبل الميلاد، والعصر الرابع الذي يشمل فترة القرن الثامن حتى القرن السادس قبل الميلاد[٢١]، أما الطبقة الخامسة فتغطي الفترة من القرن السادس حتى أوائل القرن الخامس قبل الميلاد.

الأهمية التجارية لعصيون جابر في عصر الأدوميين:

كان الفينيقيون أول من استوطن عصيون جابر، ثم الأدوميون والمؤابيون[٢٢]، واستوطنها بعد ذلك الآراميون الذين وجدت لهم الكثير من نماذج الفخار والاستراكا[٢٣]، وبما أن عصيون جابر تقع في نطاق أدوم فكان الأدوميون أكثر سكانها، ويُنسب الأدوميون إلى أدوم، وهو "عيسو بن اسحاق بن إبراهيم الخليل"، وتطلق التوراة عليهم "أدوم فقط"، وهناك من يعتبرهم مشتركين في الهجرة الآرامية، ولكنهم سبقوا الإسرائيليين[٢٤]، وكان موطنهم في أقصى جنوب بلاد شرق الأردن، وجنوب وادي الحسا؛ الذي ينساب إلى الطرف الجنوبي من البحر الميت، وهو الإقليم المعروف في التوراة باسم "سعير"[٢٥]، واتخذوا من" سالع" عاصمة لهم، والتي عرفت بعد ذلك باسم " البتراء"، وبالإضافة إلى مدينتهم المهمة – البتراء– كانت هناك مدن أخرى أنشأها الأدوميين مثل تمناء، و"عصيون جابر".

---

[٢٠]– انظر سفر التكوين، ٣٦/ ٤١، الأخبار أول، ١/ ٥٢

[21]- Glueck, N., "The Third Season of Excavation at Tell el-Kheleifeh", ***BASOR*** 79, (Oct., 1940), p. 13.

[22]- Gordon, C., "The Authenticity of the Phoenician Text from Parahyba", ***Orientalia***37, No. 1 (1968),p. 79.

[23]- Rosenthal, F., "The Script of Ostracon No. 6043 from Ezion-Geber", ***BASOR*** 85, (Feb., 1942), p. 9.

[٢٤] – محمد بيومي مهران: الشرق الأدنى القديم (٨)، بلاد الشام، الإسكندرية ، ١٩٩٠، ص ٢١٧.

[٢٥] – تكوين : ٣/٣ ، ٨/٣٦، يشوع : ١١/٢٤، حزقيال ٣/٣٥، ١٥/٧ .

وكانت عصيون جابر منطقة زراعية خصبة، قبل قدوم الأدوميين إليها، وربما كانت زراعتها وخصوبة أرضها هي التي دفعت الأدوميين إلى منع مرور العبرانيين منها، حتى لا يتم تدمير محاصيلها[٢٦]، وربما ذلك ليس سبباً مبرراً لمنع عبور العبرانين، حيث إنها لم تكن وحدها المنطقة الخصبة في جنوبي بلاد الشام، شرق وجنوب الأردن، ولكن ربما يرجع منعهم إلى توتر العلاقات بينهم وبين العبرانيين، وقد استمرت سيطرة الأدوميين على أرض أدوم ومنها "عصيون جابر" قبل قدوم العبرانيين أنفسهم[٢٧]؛ ومثلت للأدوميين ميناءً مهمًا للتجارة يربطها بمناطق الشرق الأدنى القديم، لاسيما مصر وشبه الجزيرة العربية، وسوريا وفلسطين[٢٨]، وبجانب تلك الأهمية التجارية: فقد مثّلت لهم أهمية عسكرية لحماية حدود مملكتهم، وخاصة في العصر الحديدي[٢٩]، ولذا كانت هدفًا مهمًا لداوود عليه السلام، فيما بعد، يجب السيطرة عليه[٣٠].

وقام الأدوميين بتعمير عصيون جابر وإدارته، حتى سيطرة الإسرائيليين عليه[٣١]، وتم العثور على الكثير من البقايا الفخارية التي ترجع إلى فترة الأدوميين[٣٢]، وكان الفخار من النوع المميز ذى النقوش والأشكال الهندسية، وربما لا يعود للأدوميين فقط، ولكن من المحتمل أن بعضه كان من نواتج التجارة العابرة والمارّة بعصيون جابر واستقرارها للتموين، أو اعتبارها كـ "نُزُل" مؤقت[٣٣]. وتنوّع هذا الفخار بين أواني للطبخ،

---

[26]- Glueck, N., Albright, W., *The First Campaign*, p. 9.

[27]- Albright, W.F., "Ostracon No. 6043 from Ezion-geber", ***BASOR*** 82 (Apr., 1941), p. 15.

[28]- Lyon, D., A Study of the Ancient Edomite: An Examination of the Civilization of the Nation of Edom and Its Relationship to Israel, M.S Thesis, Published, Wilfred Laurier Univ., 1974, p. 38.

[29]- Glueck, N., "The Civilization of the Edomites", ***BA*** 10, No. 4 (Dec., 1947), p. 78.

[30]- Lyon, D., Op. Cit, p. 50.

[٣١] – تجدر الإشارة إلى أن التوراة `ذكرت أن الرب قد حرّم أرض أدوم على إسرائيل، انظر : تثنية: ٢/٤-٦.

[32]- Mazar, E., "Edomite Pottery at the End of the Iron Age", ***IEJ*** 35, No. 4 (1985), p. 263.

[33]- Dayton, J., Midianite and Edomite pottery, Proceedings of the Seminar for Arabian Studies, Vol. 2, Proceedings of the Fifth Seminar for Arabian

وكؤوس، وأكواب، وكسرات فخارية تعود للآشوريين – وخاصة في العصر الآشوري الحديث، حيث توسعت سيطرتهم على شرق الأردن، وبعض مناطق شبه الجزيرة العربية– والأدوميين والمديانيين[٣٤]، وصُنع بعضها يدويًا والآخر عن طريق عجلة فخارية[٣٥]، وتميز كثير منه بأنه ذو نقوش ورسومات[٣٦]، وتم تأريخ كثير منه ويعود للعصر الحديدي الثاني[٣٧]، واختلط كثير من هذا الفخار بالفخار القادم من مصر وبلاد اليونان وبلاد العرب[٣٨]، وربما جاء ذلك نتيجة للدور التجاري المهم؛ الذي كانت تمثله عصيون جابر في استيراد وتصدير البضائع التجارية، والتي بالطبع كان منها الفخار.

وقد تم العثور على ختم يحمل عبارة: " قوسانال خادم الملك"، مكتوب بالعبرية، ويؤرخ للقرن الثامن قبل الميلاد تقريبًا[٣٩]، وغير معروف من هو الملك المشار إليه، لكن يرجح "جلوك" أن مقطع "قوسانال" Qosanal" يشير إلى اسم أدومي، إذا قارناه باسم "قاوس" Qaus معبود المنطقة الأدومي، وربما كان قوسانال مبعوثًا أو مندوبًا، من قِبل ملك ما، وظيفته متابعة عمليات شحن البضائع والتجارة[٤٠]، وتم العثور أيضًا على كسرات فخارية شملت عدة حروف أرجعها جلوك إلى الأدوميين[٤١].(**شكل رقم ٤**).

Studies held at the Oriental Institute, Oxford 22nd and 23rd September, 1971 (1972), p.25.

34- Pratico, G., "Nelson Glueck's 1938-1940 Excavations at Tell el-Kheleifeh: A Reappraisal", ***BASOR*** 259 (Summer, 1985), p. 24.

35- Glueck, N., "Some Edomite Pottery from Tell el-Kheleifeh", ***BASOR*** 188 (Dec., 1967),p. 11.

36- Ibid., p.13.

37- Glueck, N., "Some Ezion-Geber: Elath Iron II Pottery", ***ErIsr*** 9, 1969, p. 53.

38- Bienkowski, P., Steen, E., "Tribes, Trade, and Towns: A New Framework for the Late Iron Age in Southern Jordan and the Negev", ***BASOR*** 323, (Aug., 2001), p. 26.

39- Moon, C., Op. Cit, p. 194.

40- Glueck, N., "Ezion-Geber: Solomon's Naval Base on the Red Sea", ***BA*** 1, No. 3 (Sep., 1938), p. 16.

41- Glueck, N., "Some Edomite Pottery from Tell el-Kheleife", ***BASOR*** 188 (Dec., 1967), p. 9; Thareani, Y., "The Spirit of Clay: "Edomite Pottery"

وتم العثور على بعض الأسماء التي ربما كانت تخص بعض المعبودات عند الأدوميين(٤٢). وقد استمرت السيطرة الأدومية على عصيون جابر حتى قيام مملكة داوود عليه السلام، وتوحيده للعبرانيين، وسيطرته عليها، ولكن ذلك لم يمنع الأدوميين من القيام بثورات ضد الإسرائيليين، من حين لآخر.

عصيون جابر خلال فترة المملكة الموحّدة في عصري داوود وسليمان عليهما السلام :

تولّى داوود عليه السلام قيادة العبرانيين، وتمكن من توحيدهم تحت سلطة واحدة، بعدما فتك التفرُق بدولة طالوت، واتجه بعد ذلك إلى إخضاع الممالك المجاورة، وبدأها بمملكة مؤاب(٤٣)، ثم عمون بعد ذلك(٤٤)، ثم اتجهت قواته إلى أدوم، ورغم بُعدها نسبيًا عن مملكة داوود عليه السلام، إلا أنها كانت تمثل أهمية كبيرة لداوود عليه السلام، فهي تمكنه من الوصول مباشرة إلى خليج العقبة، عن طريق مينائها المهم "عصيون جابر"، وبالتالي ينفتح الطرق أمامه لساحل البحر الأحمر وتجارته، كما أن أدوم نفسها – ووادي عربة عمومًا– كانت تحتوي على الكثير من الرواسب المعدنية؛ التي كان أهمها النحاس والحديد، الذي استغله داوود عليه السلام كثيرًا(٤٥).

وكانت مخزونات النحاس والحديد قد استخرجت من أدوم، واشتهرت في عهد سليمان عليه السلام بدرجة كبيرة، ولعل أفضل هذه المعامل من جهة الإعداد والبناء: ما وجد في الطبقة " ط"؛ التي تحوي مخلفات أقدم الفترات الخمس الرئيسية لعمران هذا الموقع(٤٦)، وحرص داوود عليه السلام على الاهتمام بعصيون جابر كمركز تجاري مهم وعمل على ربطها بدمشق للسيطرة على طرق التجارة(٤٧).

---

and Social Awareness in the Late Iron Age", ***BASOR*** 359 (August 2010), pp. 35 ff.

42- Glueck, N., Albright, W., *The First Campaign*, p. 17.

٤٣ – صموئيل ثان ٨ / ٢ .

٤٤ – صموئيل ثان: ١٠ /١–٥.

45- Noth, M., the History of Israel, London, 1965, p. 196.

ويتوافق ذلك مع ما جاء في القرآن الكريم عن استخدام داوود عليه السلام للحديد، وتسخير الله له الحديد، حيث تشير الآية القرآنية (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ *أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) سورة سبأ الآية ١٠–١١.

٤٦ – محمد بيومي مهران: الشرق الأدنى القديم (٨) ، بلاد الشام ، الإسكندرية ، ١٩٩٠، ص ٢٩١.

47- Moon, C., Op. Cit, p. 151.

ويبدو أن شهرة عصيون بالتعدين لم تكن منذ عصر داوود وسليمان عليهما السلام فقط، بل إن منطقة وادي عربة عمومًا اشتهرت بتعدينها، وصهر الحديد والنحاس وتصديره منذ أواخر العصر البرونزي المتأخر، وبدايات العصر الحديدي المبكر(٤٨)، وازدهرت بها فئة الحدادين، واشتهر الكينيين" السكان الأوائل للمنطقة" بصناعة الحديد(٤٩).

وامتاز عصر الملك سليمان عليه السلام بنشاط تجاري كبير، وخُصّصت بعض فصائل العربات الحربية لخدمة الشأن التجاري، عندما لا تكون هذه العربات في حالة الدفاع عن الدولة، ولذا عمل سليمان عليه السلام على السيطرة على الطرق التجارية المهمة في سوريا وفلسطين، والتي كانت قائمة منذ عصر أبيه داوود عليه السلام، واحتفظ بسيطرة كاملة على طرق القوافل التي كانت تمر عبر أرض الأدوميين، واهتم بتأمين تلك الطرق والمراكز التجارية، والتي كان أهمها: ما يمر عبر "تل الخليفة"، ودعّم تلك السيطرة بإقامة علاقات وديّة مع المناطق المجاورة لتأمين تلك الطرق، مثل تحسين العلاقات مع ملك مصر، وملك صور "حيرام" الذي ساعد سليمان عليه السلام في حماية الطرق التجارية عبر المدن الفينيقية.

واتجه سليمان عليه السلام نحو البحر؛ ليفتح لبلاده أبواب التجارة مع البلاد الواقعة على سواحل البحار، في الوقت الذي لم يألف فيه العبرانيين ركوب البحر وملاحته، لذا فقد اتفق مع "حيرام" ملك صور: على إنشاء أسطول من السفن كان مركز صناعته في "عصيون جابر"، "وقد تم العثورعلى مسامير كبيرة الحجم من الحديد والنحاس الممزوج بالحديد، وقطع حبال غليظة وكتل من القار" وبالفعل أرسل حيرام له ثمانية آلاف من رجاله لبناء أسطول من عشرة سفن(٥٠).

وأدرك سليمان عليه السلام أهمية مملكة سبأ، فبخلاف المشهد الديني عن تبعيّة ملكة سبأ لسليمان عليه السلام ، وعبادتها لله وحده وترك عبادة الشمس(٥١)، فإن مملكة سبأ، في حد

48- Rothenbeir, B., "Ancient Copper Industries in the Western Arabah", ***PEQ*** 94, (1962), p. 56.

49- Glueck, N., Albright, W., *The First Campaign*, p. 6.

٥٠ – محمد بيومي مهران: بلاد الشام ، ص ٢٨٩.

٥١ – يشير د. محمد بيومي مهران – رحمه الله– أن إسلام ملكة سبأ كان لله تعالى وليس استسلام لسليمان عليه السلام، وهذا ما عبرت عنه الآية القرآنية الكريمة (قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)، سورة سبأ، الآية ٤٤. وهكذا اهتدى قلبها واستنار، وعرفت أن الإسلام لله وحده ليس استسلامًا لأحد من خلقه، حتى وإن كان سليمان عليه السلام، النبي الملك، صاحب المعجزات، وأن الذين يدّعون بضم مملكة سبأ لملك سليمان إنما يخطئون فهم دعوة الرسل، فهم لا

ذاتها، تعد مملكة تجارية؛ تمثل عُقدة مهمة من عُقَد طريق التجارة البري القادم من الجنوب، وهذا الموقع يسمح لها أن تستقبل سلع جنوب شبه الجزيرة العربية، وتمثلت قوة مملكة سبأ تجاريًا في كمية الأطياب والتوابل والذهب التي حملتها ملكتها لسليمان عليه السلام[٥٢]، ويشير البعض إلى أن زيارة ملكة سبأ لسليمان عليه السلام– بخلاف استجابتها لدعوته الدينية– قد يكون من باب الترويج لتجارة مملكتها سبأ، فالنشاط التجاري بين المملكتين يمثل نشاطًا رئيسيًا، وبعد أن استقر الوضع لسليمان عليه السلام، بعد تحقيق الكثير من الإنجازات على صعيد المشاريع المعمارية، أو فيما يتعلق ببناء أسطوله في تل الخليفة على البحر، فيبدو أن الوقت قد حان ليؤمّن تجارته البرية، وفي المقابل ضمان مصالح التجارة البرية لمملكة سبأ أيضًا، التي كانت التجارة تمثل عمودها الفقري[٥٣].

ولم تكن "تل الخليفة" لسليمان عليه السلام ميناءً تجاريًا فحسب، ولكنها كانت كذلك مركزًا صناعيًا، وفي الواقع كان اختيار موقعها موفقًا، بين تلال أدوم من الشرق، وتلال فلسطين من الغرب، حيث يمكن الاستفادة، بأقصى حد، من الريح التي تهب من الشمال، إذ تبلغ أقصى سرعتها في وسط وادي عربة، وذلك للانتفاع بها في تأجج النار اللازمة للتعدين، هذا فضلاً عن أن أدوم، وكل المنطقة الواقعة بين البحر الميت وخليج العقبة، غنية بالنحاس والحديد[٥٤]، ونقرأ في التوراة عن "أرض حجارتها حديد، ومن جبالها تحفر نحاسًا "[٥٥]، ومن هنا عصيون جابر– بالإضافة إلى وادي عربة والنقب – مركزًا لصهر الحديد والنحاس في عهد سليمان عليه السلام[٥٦].

وتم العثور على الكثير من المعالق الحديدية والسنانير والأطباق المعدنية[٥٧]، ويرى "جلوك" أنها بمنزلة مدينة ومجمع صناعي مهم[٥٨]، وكان يعمل بمصاهرها

يريدون ملك الناس ودنياهم، وإنما يريدون هدايتهم إلى عبادة الله وحده، وإلى الإيمان بشرائعه ، انظر : محمد بيومي مهران : بلاد الشام، ص ٣٠٠.

٥٢ – هشام عبد العزيز ناشر: التجارة وأثرها في تطور ممالك اليمن القديمة، رسالة دكتوراة، غير منشورة، جامعة عدن، ٢٠٠٩، ص ٨٣.

٥٣ – هشام عبد العزيز ناشر: التجارة وأثرها في تطور ممالك اليمن القديمة، ص ٨٥.

٥٤ – محمد بيومي مهران: بلاد الشام ، ص ٢٩٠.

٥٥ – تثنية : ٨ /٩.

56- Hyatt, P., "Solomon in All His Glory", ***JBR*** 8, No. 1 (Feb., 1940), p. 29.

57- Glueck, N., Albright, W., *The First Campaign*, p. 13.

ومصانعها الكثير من العبيد[٥٩]، كما اشتهرت صناعة الغزل والنسيج، وظهر ذلك في بقايا الحبال التي وجدت بها، بالإضافة لصناعة السلال والحصير[٦٠].

كانت عصيون جابر مكانًا مهمًا لصناعة السفن وإنتاج النحاس والحديد[٦١]، فقد جعل منها الملك سليمان عليه السلام ميناءً تجاريًا[٦٢]، وقاعدة تنطلق منها سفنه وأسطوله ورحلاته[٦٣]، وذكرت التوراة: أن سفن الملك سليمان عليه السلام عادت إلى عصيون جابر بعد رحلة استمرت ثلاث سنوات[٦٤]، ورجّح بعض الباحثين أنه إذا كان ما ورد في التوراة صحيحًا، فإن طول تلك الفترة ربما يشير إلى دوران هذه السفن حول إفريقيا، وعودتها مرة أخرى لميناء عصيون جابر، مستندين على خريطة من عام ١٧٦٤م، تشير إلى رحلة أسطول الملك سليمان عليه السلام من عصيون جابر إلى أوفير[٦٥] ومنها إلى ترشيش التي أشارت– أي الخريطة– إلى وقوعها جنوب إسبانيا ؟ [٦٦].

وتنوعت بعصيون جابر الكثير من الصناعات لتوريدها للخارج[٦٧]، وقامت بعدة أدوار مهمة منها: أنها كحصن، وكان هذا الحصن كأنه حارس لحدود مملكة سليمان

58- Glueck, N., "The Second Campaign at Tell el-Kheleifeh (Ezion-geber: Elath)", ***BASOR***75 (Oct., 1939), p. 10.

59- Glueck, N., *The Third Season*, p. 4.

60- Glueck, N., Albright, W.,*The First*, p. 13.

61- Capelli, P., "L' Ideologia Del Mare E Del Porto Nell'Antico Testamento", ***EVO*** 8 (1985), p. 120.

62- Glidden, H., "A Comparative Study of the Arabic Nautical Vocabulary from Al-'Aqabah, Transjordan", ***JAOS*** 62, No. 1 (Mar., 1942), p. 68.

63- Avigad, N., "A Hebrew Seal Depicting a Sailing Ship", ***BASOR*** 246, (Spring, 1982), p. 60 .; Glueck, N., *Ezion-Geber: Solomon's Naval Base*, pp. 13-16.

٦٤ – ملوك أول: ١٠ / ٢٢ ، أخبار ثاني : ٩ / ٢١.

٦٥– وهي مدينة يقصد بها بلاد العرب وسُميت أوفير نسبة إلى أوفير بن يقطان من نسل سام الذي سكن بين ميشا وجبل المشرق، وأشار بطلميوس الجغرافي في وصفه لليمن أن أوفير على شاطئ البحر الهندي(المحيط الهندي) في جنوب البلاد العربية، ويشير د. محمد بيومي مهران إلى أنها تقع في الحانب الحنوبي الغربي لشبه الحزيرة العربية، محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل، ج٢، ص ٧١٠.

66- Stieglitz, R., "Long-Distance Seafaring in the Ancient near East", ***BA*** 47, No. 3 (Sep., 1984), p. 141.

67- Glueck, N., Albright, W., *The First Campaign*, p. 12.

عليه السلام، وحصن عصيون جابر، بحالته العسكرية، يعود لعصر سليمان عليه السلام، وتم إنشاؤه فوق بعض التلال، وتم إنشاء الميناء في عصيون جابر تزامنًا مع إنشاء سليمان عليه السلام لأسطوله فيها، بمعاونة حيرام ملك صور(٦٨)، وهو الآن عبارة عن كومة من التراب، بعدما كان مركزًا تجاريًا وصناعيًا، وموطنًا لبعض الحاميات العسكرية(٦٩). وتميز بوفرة معادنه، حتى إن البعض أسماه "منجم سليمان"، وتم صهر النحاس بها، وهذا ما يفسر وجود بقايا بعض المداخن(٧٠)، وتشير بقايا تلك المداخن إلى أن عمليات الصهر والتكرير استمرت بها لفترة كبيرة، حتى إنه تم العثور على أجزاء من النحاس المنصهر على سطح الأرض، أثناء بداية الحفائر(٧١)، ولم تكن فقط عصيون جابر مركز تعدين لسليمان عليه السلام، بل استغل مناطق التعدين في الكثير من المنطاق المجاورة مثل: تمناء شمال غرب عصيون جابر(٧٢)، ولكن تبقى عصيون جابر أكثرها أهمية، حتى إنها أصبحت لا تقل أهمية، من حيث التجارة، عن مدينة القدس(٧٣).

وبجانب كونها حصناً قوياً وقاعدة بحرية تجارية مهمة للملك سليمان عليه السلام، تم استخدام أجزاء منها "كمخازن وصوامع للغلال"، وبلغت مساحة منطقة المخازن حوالي ٤٥ x ٤٥ م، ووُظّفت كمخزن للحبوب ومؤونة للجنود والقوافل التجارية التي تمر منه(٧٤)، وهذه الصوامع ربما كانت خاصة بتموين الحاميات العسكرية المتمركزة في عصيون جابر .**(شكل رقم ٥)**

68- Blakely, J., Judahite Refortification of the Lachish Frontier, M.S Thesis, Wilfred Laurier Univ., Published, 1981, p. 23.

70- Ibid., p. 73.

71- Glueck, N., Albright, W., Op. Cit, p. 6.

72- Wright, G.," More on King Solomon's Mines", ***BA*** 24, No. 2 (May, 1961), p. 59.

73- Glueck, N., *The Second Campaign*, p. 12.

74- Glueck, N.,*Ezion-Geber*, p. 69.

بالإضافة لكونها مستودعاً أو "نُزُلاً" لاستقبال البخور والتوابل من المناطق المختلفة، وإعادة تصديرها لمناطق أخرى(٧٥)، وكانت البضائع والسلع تأتي من مصر إلى عصيون جابر، ثم يتم تصديرها إلى مناطق أوفير وأدوم وكنعان وشبه الجزيرة العربية، وبلاد الرافدين وصور(٧٦)، ومن تلك السلع: الذهب والفضة والعاج، وبعض أصناف الزينة(٧٧).

وقد استعان سليمان عليه السلام بالكثير من الأدوميين في العمل في ميناء عصيون جابر، في الصناعة والصهر(٧٨)، مما دفع الكثير منهم للهرب من معسكرات العمل، وانضموا للملك "حدد" زعيم الأدوميين، والذي كان كثيرا ما يقوم بحملات ضد سليمان عليه السلام والإسرائيليين، وتمكن من إخراج بعض مناطق أدوم من سيطرة الإسرائيليين(٧٩).

تل الخليفة بعد عصر سليمان عليه السلام:

يبدو أن ملوك يهوذا قد فطنوا إلى الموقع الاستراتيجي لعصيون جابر، على البحر فكانوا يتركون فيها حامية عسكرية، ولكن تم محاصرة المدينة من قِبل الأدوميين من جميع الجهات، مما دفع الحامية للاستسلام. وتم تدمير المدينة، وقطعت الاتصالات بين يهوذا وبين المدينة. وعمل يهوشافاط (٨٦٧- ٨٤٦ ق.م)، على تنمية النشاط البحري مع منطقة أوفير، فاستخدم عصيون جابر لموقعها المتميز في عملية التصدير، كما استغل موقعها البحري المتميز في إحياء التجارة مع المناطق العربية(٨٠)، ولكن فشل مخطط يهوشافاط في تنمية تلك التجارة، وإعادتها كما كانت في عصر سليمان عليه السلام، بسبب ضعف يهوذا نفسها، بالإضافة إلى ثورة أدوم في عصر يورام بن يهوشافاط(٨١) ، وعادت عصيون جابر، مرة أخرى، إلى سيطرة الأدوميين، ولكن لم يتوفر لهم القدرة الاقتصادية،

75- Moon, C., *A political History of Edom*, p. 111.
76- Ibid., p. 160.
77- Ibid., p. 160.
78- Mendelsohn, I., "State Slaveryin Ancient Palestine", ***BASOR*** 85 (Feb., 1942), p. 17.
79- Moon, C., Op. Cit, p. 161.
80- Glueck, N., *the Topography*, p. 7.
٨١ – سفر الملوك الثاني ٨/ ٢٠-٢٢ ، سفر الأخبار الثاني ٢١/ ٨-١٠.

ولا العسكرية، لجعلها مثلما كانت في عصرسليمان عليه السلام[٨٢]، ثم شنّ أمصيا (٧٩٧-٧٧٩ ق.م) عدة حملات على عصيون جابر وسالع، وانتهت بخضوعهما التام له[٨٣]، ويشير سفر الملوك الثاني[٨٤] وسفر الأخبار الثاني[٨٥] إلى أن عزريا (٧٨٥- ٧٣٤ ق.م) أعاد بناء المدينة التي فقدت مرة أخرى على يد الأدوميين، وفي ذلك أيضًا إشارة إلى أن عصيون جابر استمرت، لفترة من الزمن، تحت سيطرة الأدوميين تارة، ويهوذا تارة أخرى، ومن المؤكد أن السبب الرئيسي في الرغبة في السيطرة عليها هو: الموقع التجاري والعسكري المتميز لها، على ساحل البحر الأحمر وخليج العقبة[٨٦].

واستمرت عصيون جابر تقوم بنفس الدور التجاري، في عهد كل من عمري (٨٧٦ -٨٦٩ ق.م) وأخاب (٨٦٩- ٨٥٠ ق.م) في مملكة إسرائيل، وكانت تستقبل السلع والمواد التجارية من صور والمدن الفينيقية، عبر المدن التي كانت تحتلها مملكة إسرائيل، وتصديرها إلى أوفير وشبه الجزيرة العربية وغيرها[٨٧]، بل إن الطريق التجاري (فينيقيا- فلسطين- عصيون جابر) أصبح منافسًا للطريق التجاري (مصر- فينقيا)[٨٨]، وأصبحت بوابة تجارية ومدخلاً ومنفذًا تجاريًا لشبه الجزيرة العربية[٨٩]، وإن لم يكن الوحيد، حيث كان هناك ميناء "قنأ" قرب عدن، وميناء "الوجه" في أقصي شمال غرب شبه الجزيرة العربية، على الساحل الشرقي للبحر الأحمر[٩٠]، وتم العثور على الكثير من

82- Glueck, N., *Ezion-Geber*, p. 84.

83- Glueck, N., the *Topography*, p. 7.

٨٤ – سفر الملوك أول: ١٤/ ٢٢.

٨٥ – سفر الأخبار الثاني: ٢٦/١-٢.

86- Glidden, H., *A Comparative Study*, p. 68.

87- Yeivin, S., "Did the Kingdoms of Israel Have a Maritime Policy?", ***JQR*** 50, No. 3 (Jan., 1960), p. 219.

88- Miller, J., The Omride Dynasty in the Light- of Recent Literary and Archaeological Research" (unpublished Ph. D. dissertation, EmoryUniversity, 1966), p. 196.

89- Glueck, N., "Ezion-Geber: Elath, the Gateway to Arabia", ***BA*** 2, No. 4 (Dec., 1939),p. 38.

٩٠ – علاء عبد المحسن شاهين: تاريخ الخليج والجزيرة العربية القديم، الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧، ص٢٠، ٢٥٨.

النقوش العربية في عصيون جابر[٩١]، كما حرص يربعام الثاني (٧٨٦- ٧٤٦ ق.م) على تطوير التجارة، ومد الطرق التجارية، بين حماة وعصيون جابر[٩٢]، وكانت عصيون جابر بالنسبة له: من أهم الموانئ البحرية التي تم استخدامها في أعمال الصيد، وقام ملوك مملكة إسرائيل بهذا الدور عندما احتلوا الميناء[٩٣]، وتم العثور على ختم ينتمي لأحد ملوك يهودا وهو " يوثام"[٩٤].(**شكل رقم ٦**).

العلاقات التجارية لتل الخليفة مع المناطق المجاورة والخارجية:

العلاقات المرجحّة مع مصر: كانت الأهمية الاقتصادية والموقع الاستراتيجي، لعصيون جابر، معروفاً لدى بعض قبائل سيناء، وكانت بينهم علاقات تجارية، وبالتأكيد تلك العلاقات التجارية تحت وصاية الإدارة المصرية وبوساطة، وتم العثور على مصاهر النحاس في سيناء، وكان يتم جلب بعض المواد الخام من سيناء ومناجمها لصهر بعضها في عصيون جابر، وازداد هذا الاتصال، بدرجة كبيرة، خلال عصر الدولة الوسطى[٩٥]. كما تم العثور، في عصيون جابر، على أنواع من الفخار الذي يشير إلى طقوس الحج، أو الزيارات إلى المناطق المقدسة، وتشير تلك الأواني الفخارية إلى: وجود تجارة رائجة وواسعة مع شبه جزيرة سيناء، بوصفها مركزاً تجاريا مهماً[٩٦]، بالإضافة إلى الكثير من نماذج العقيق والجمشت وبعض الأختام[٩٧].

وجاءت إشارات للأدوميين "كمنطقة" في نصوص الملك رعمسيس الثاني، حيث أشار إلى أنه " *نَهَب جبل سعير*" ، وجبل سعير معروف أنه ضمن المناطق الأدومية

91- Boneschi, P., "Les Monogrammes Sud-Arabes de la Grande Jarre de Tell El-Ḫeleyfeh (Ezion-Geber)", ***RDSO***, 36 (1961), pp. 213-23.

92- Poulsen, O., The Samaria Region During the Israelite Period: An Urban Study, M.S Thesis, published, Wilfrid Laurier Univ., 1986, p. 141.

93- Capelli, P., *L' Ideologia Del Mare*, p. 119.

94- Avigad, N., "The Jotham Seal from Elath", ***BASOR*** 163 (Oct., 1961), p. 19.

95- Glueck, N., Albright, W., *The First Campaign*, p. 7.

96- Ibid., p. 15.

97- Glueck, N., *The Second Campaign*, p. 20.

المهمة، ومدينة سعير مدينة أدومية وردت في بعض النصوص الأكدية والسامية وتعني "الشعر"، وربما أطلق ذلك عليها لكثرة غابتها وأخشابها[٩٨].

ويرجح أن عصيون جابر كانت تحت السيطرة المصرية، وخاصة في عصر الدولة الحديثة، فمكان تجاري مهم، مثل عصيون جابر، لا يخفى عن عيون الفرعون المصري، وما يدعم ذلك: وجود منطقة تسمى في نصوص الملك سيتي الأول(١٣١٤-١٣٠٤ ق.م)، ويرجح "جوتييه" أنها منطقة عين الغديان شمال إيلات بـ ١٥ كم[٩٩]، ومن المحتمل أن المقصود بها "عصيون جابر"، وعمل الملك سيتي الأول على استغلال مناجم النحاس بوادي عربة وعصيون جابر (أي قبل داود وسليمان عليهم السلام بـ ٣٠٠ عام على الأقل) فليس من المعقول أن يكون الفرعون على بُعد كيلومترات قليلة من هذه الموقع المهم ولا يسيطر عليه! ويدعم ذلك أيضًا، ما ورد في "بردية أنسطاسي٦"، حيث أشارت إلى سيطرة رعمسيس الثاني(١٣٠٤-١٢٣٧ ق.م) على بعض مناطق الأدوميين[١٠٠]، وكتبت أدوم في بردية أنسطاسي بـ ، وأشار "جوتييه" إلى أنها تُعني "أرض أدوم"[١٠١].

واستمرت السيطرة المصرية على مناطق أدوم أكثر في عصر رعمسيس الثالث، وأشارت "بردية هاريس" إلى أن رعمسيس الثالث قام *"بتحطيم سكان سعير والقبائل البدوية، ودمّر خيامهم وماشيتهم، وأخذ منهم الجزية، وأعطاهم التاسوع المقدس، وجعلهم كالعبيد في منازلهم"*[١٠٢]، ونتج عن تلك الحملات العسكرية المصرية، على أدوم، أن ظهرت لديهم الحاجة الملحّة لتأسيس نظام سياسي وعسكري؛ يدافع عنهم وقت الهجمات الخارجية، وكانت وفاة رعمسيس الثالث فرصة مناسبة ليلملموا دولتهم ويؤسسوها، لتصبح مملكة قوية بعد ذلك.

وأثناء حملة الملك "شاشانق الأول" على فلسطين قام بتدمير مدينة عصيون جابر، ووردت في نصوص شاشانق الأول على الكرنك[١٠٣] على أنها ميناء في منطقة

---

98 - Moon, C., *A Political History of Edom*, p. 4.

99- DG, IV, p. 23.

100- Clédat, J., "Notes sur l'isthme de Suez (suite)", ***BIFAO*** 21, 1923, p. 149.

101- DG, I, p. 126.

102 - Moon, C., Op. Cit, p. 133.

١٠٣ – قام شارل نيمس بدراسة الكثير من نصوص ونقوش معبد الكرنك، انظر :

أدوم[١٠٤]، وبعد تدميرها تم قطع طرق التجارة الواصلة بينها والبحر المتوسط، مما أدى إلى تراجع أهميتها التجارية لوقت ما[١٠٥]، ثم بعد ذلك تم إنشاؤها، مرة أخرى، واستخدامها كحصن قوي، وتم إنشاء أسواره وحوائطه من الطوب اللبن[١٠٦].

ويشير البعض إلى العثور على الكثير من أواني النبيذ المستوردة من اليونان، التي أخذت طريقها عبر عسقلان وغزة ثم عصيون جابر، وتم العثور على كسرات فخارية حملت بعض كتابات تشير إلى بعض المبالغ المالية؛ والشحن لتلك البضائع التي تم استلامها، ولكن صيغة كتابة تلك النصوص مشابهةُ لما وجد في مصر، وتحديدًا في إلفنتين[١٠٧]، وتؤرخ للقرن الخامس قبل الميلاد، وهي نفس الفترة التي استوطن فيه اليونان مصر بصفة واضحة، ولذا فمن المرجح أن طريق التجارة لتلك الأواني الفخارية لم يكن (بلاد اليونان– عسقلان– غزة– عصيون جابر) ، بل من المرجح أنها كانت قادمة من مصر عبر سيناء، وخاصة إذا عرفنا أن سيناء كانت مصدرا رئيسيا لتصدير المواد الخام لعصيون جابر نفسها.

ازدهرت التجارة بين مصر وآسيا، واتُخذ ميناء عصيون جابر كمنفذ تجاري مهم للصادرات المصرية؛ لشبه الجزيرة العربية ومنها للعراق وفلسطين، بالإضافة للساحل السوري. ويدعم ذلك: وجود صلات تجارية بين ميناء القصير المصري، على البحر الأحمر عصيون جابر في عصر سيطرة الأنباط على أدوم[١٠٨]، وباعتبار أن عصيون جابر كانت تقع في طريق الحجاج، ولذا من المؤكد أن دورها كـ " نُزل" أو " استراحة" أو " مركز تموين" – قد أعطاها أهمية كبيرة في هذا الدور[١٠٩]. وتم العثور على تماثيل

Nims, Ch., Reliefs and Inscriptions at Karnak, Chicago, University of Chicago Press, 1954.

104- Ibid., p. 111.

105- Yeivin, S., *Did the Kingdoms*, p. 212.

106- Glueck, N., *Ezion-Geber*, p. 82.

107- Glueck, N., *Ezion-Geber: Elath*, p. 41.

108- Parker, T., "Preliminary Report on the 1994 Season of the Roman Aqaba Project", ***BASOR*** 305, (Feb., 1997),p .40.

109- Mayerson, P., "The Pilgrim Routes to Mount Sinai and the Armenians", ***IEJ*** 32, No.1. (1982), p. 47.

لبعض المعبودات المصرية في عصيون جابر مثل المعبودة "باستت"، وبعض التمائم التي تحمل "عين حور"[١١٠].

علاقتها مع شبه الجزيرة العربية:

قامت علاقات تجارية بين عصيون جابر و بلاد العرب، مستغلة مينائها المتميز في نقل التوابل والبخور[١١١]، وتم العثور فيها على حَرفين يعودان للخط الجنوبي "المسند" خط الجزيرة العربية المبكر، ويؤرخان للقرن الثامن قبل الميلاد، ويحمل أحدهما حرف "ألف" والآخر حرف "ص". ويرى البعض أن تلك الحروف ربما ترجع للمعينيين، الذي كانوا على اتصال تام مع عصيون جابر، وكانوا يحتكرون تجارة المُر والبخور واللَبّان، في جنوب الجزيرة العربية، وربما كان الممثل، أو المندوب التجاري، لمعين يقيم في عصيون جابر[١١٢]، وذكر "بليني"[١١٣] و"سترابو"[١١٤] أن المعينيين أقدم من أقام علاقات تجارية في جنوب الجزيرة العربية، واحتكروا تجارة البخور والمُرّ.

ثم تصبح عصيون جابر، بعد فترة، ضمن مملكة الأنباط، وصارت تسمى أيلة/ إيلات، وكانت مقرًا وموطنًا للأنباط، جعلوا منها مدينة كبيرة وميناءً مهماً[١١٥]، واستغلوا هذا الميناء في تسيير أعمال التجارة الخاصة بهم، فبعدما كانت تجارتهم برية، أصبحت بفضل هذا الميناء تجارة بحرية، بل صنعوا السفن التي تمكنهم من الإبحار مع مختلف مناطق الشرق القديم، وخاصة مع الساحل السوري، وساعدهم في ذلك قرب هذا الميناء من حاضرتهم المهمة "البتراء"، بل توسعوا في السيطرة حتى استولوا على مناطق مؤاب[١١٦].

واستغل الأنباط الموقع الجغرافي الذي استوطنوا فيه، حيث كان مهمًا لمرور التجارة الدولية، بين جنوب الجزيرة العربية وبين بلاد الشام وموانئها ومصر، واعتبر الأنباط أنفسهم، في بداية أمرهم، حماة لتلك التجارة، مقابل مكافآت يدفعها إليهم أصحاب تلك التجارة، ولكنهم فيما بعد تعلموا الأساليب التجارية، فانتقلوا من وضع

110- Glueck, N., Albright, W., *The First Campaign*, p. 13.

111- Ibid., p. 8.

112- Glueck, N., *The Second Campaign*, p. 19.

113- Pliny, Nat. Hist., ed. Mayhoff, VI: 28 (32);

114- Strabo, Geography, XVI, IV, 2

115- Retzleff, A., "A Nabataean and Roman Domestic Area at the Red Sea Port of Aila", ***BASOR*** 331 (Aug., 2003), p. 45.

١١٦ – إحسان عباس: تاريخ دولة الأنباط، عمّان، ١٩٨٧، ص ٣٣.

الحامي للتجارة إلى وضع التاجر صاحب القافلة أو البضائع المتاجر فيها، فانتقلوا بذلك من حالة الوساطة والتنقل، إلى المتاجرة بأنفسهم، فدرّ ذلك عليهم أرباحًا طائلة عادت بالنفع على حياتهم الاقتصادية والسياسة، وبسبب هذا الوضع ذهب بعض الباحثين إلى القول: بأن التجارة كانت عصب الكيان البشري النبطي، وهذا ماجعل الباحثين يسعون إلى تفسير كل شيء في حياتهم-أي الأنباط- في ضوء التجارة[١١٧].

علاقاتها مع اليونان:

تم العثور على العديد من الأواني والأكواب التي يرجع أصلها إلى بلاد اليونان، ومن المؤكد أن هذه الأواني وجدت طريقها عبر عسقلان، ثم غزة، ثم إلى أيلة عن طريق التجارة[١١٨]، وربما كانت أيله نفسها مركز تصدير لهذه الأواني إلى المناطق المختلفة ومنها شبه الجزيرة العربية ومصر، مقابل تصدير سلع شبه الجزيرة العربية الثمينة مثل: التوابل والبخور إلى مناطق تفتقر إليها.

حصون عصيون جابر:

كان لعصيون جابر مجموعة حصون خارجية لحمايتها، تلاها مجموعة بوابات تؤدي إلى داخل المدينة[١١٩]، وأشارت التوراة إلى عصيون جابر باعتبارها حصناً عسكرياً مهماً، له عدة بوابات[١٢٠]، وتتشابه بواباتها، بشكل كبير مع بوابات مجدو، وهذا يؤكد أن من قام بـ (إعادة) بناء حصون عصيون جابر؛ هو نفسه صاحب المباني بالطبقة الرابعة في "مجدو" تل المتسلم"، وهو الملك سليمان عليه السلام.

وكانت الحصون التي أُنشئت في عصر يهوذا لها أهمية اقتصادية كبيرة، بجانب الأهمية العسكرية، ليس فقط في أمور التعدين، ولكن في استيراد وتصدير الخامات والمواد التجميلية وأغراض الزينة، من الجزيرة العربية، للمناطق المختلفة والعكس[١٢١]،

---

١١٧ – شوقي شعث: مدن القوافل في شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام، مجلة التراث العربي، العدد ٩٦، ٢٠٠٤، ص ١٤٨.

118- Glueck, N., *The Second Campaign*, p. 19.

119- Ibid., p. 13.

120- Burrows, M., "How Archaeology Helps the Student of the Bible", ***BA*** 3, No. 2 (May, 1940), p. 16.

121- Aharoni, Y., "Forerunners of the Limes: Iron Age Fortresses in the Negev", ***IEJ*** 17, No. 1 (1967), p. 1.

ومع مناطق شرق إفريقيا[١٢٢]، وكانت عصيون جابر متحكمة، بشكل كبير، في تلك الطرق التجارية، أو على الأقل ما يقابل المصطلح الحديث" ترانزيت" للبضائع والتجارة، وكانت من طرق التجارة الآمنة بين القدس وإيلات[١٢٣]، وبلغت درجة كبيرة من الازدهار التجاري، حتى إن الميناء كان في كثير من الفترات مزدحمًا بالسفن والتجار، وقدر الباحثين سكانها بحوالي ١٠٠٠ نسمة[١٢٤].

ولحماية هذا الموقع التجاري المهم، فقد تم إحاطته بعدة حوائط وجدران، وتم تدعيم هذه الجدران بغرفات ملاصقة لتلك الحوائط[١٢٥]، ومن المرجح أن تلك الغرف كانت خاصة بالحرس، أو الجنود المسئولون عن تأمين المدينة، ومما يؤكد ذلك: وجود الكثير من الفتحات بها كانت تستخدم لأغراض عسكرية، واستفاد منه الإسرائيليين في حماية حدودهم على تخوم الأدوميين[١٢٦]، ووجدت ثلاث غرف مربعة الشكل بجوار جدران الحصن في الشمال، وثلاث غرف أخرى مستطيلة الشكل في الجنوب[١٢٧]، بالإضافة إلى وجود حجرات مشابهة في الغرب والشرق[١٢٨] ، وبلغ متوسط مساحات بعض الغرف على النحو التالي : ٢,٣٠ م^{٢} x ٤,٧٥ م^{٢}/ ٣,٦x٢ م^{٢}/ ٣,٧٥x٢,٥ / ٢x٣,٤ م^{٢} [١٢٩]، ووجدت بوابات ذات أربع غرف أدَّت نفس الدور في تدعيم وتحصين جدران المدينة، ووجد ذلك النموذج في كثير من المدن الإسرائيلية، وتم توظيفه بوصفه حصناً لحماية المدينة، وتميز بقوته، وكان يتم إنشاؤه في مكان متميز في الموقع[١٣٠]، ووجدت هذه

122- Van Beek, G., "Frankincense and Myrrh in Ancient South Arabia", ***JAOS*** 78, 1958, p. 146.

123- Aharoni, Y., Op. Cit, p. 2.

124- Glueck, N., Albright, W., *The First Campaign*, p. 13.

125- Aharoni, Y., Op. Cit, p. 9.

126- Aharoni, Y., Op. Cit, p. 18.

127-Blakely, J., Judahite Refortification of the Lachish Frontier, M.S Thesis, Wilfred Laurier Univ., Published, 1981, p. 147.

128- Pratico, G.,*Nelson Glueck's 1938-1940*, p. 13.

129- Ibid., p. 14.

130- Shiloh, Y., "The Four-Room House Its Situation and Function in the Israelite City", ***IEJ*** 20, No. 3/4 (1970), pp. 180-190..

البوابات، ذات الأربع غرف، في الطبقة الرابعة تحديدًا، في تل الخليفة(١٣١)، وبلغت أبعاد البوابة ذات الأربع غرف التي وجدت في عصيون: حوالي ١٦,٥م للحائط الشمالي، ١٥,٥ م للشرقي، ١٧,٥ م للجنوبي، و ١٠,٦ للغربي(١٣٢) وتشبه تلك التي وجدت في "مجدو" في الطبقة الرابعة أيضًا، وكان يتم استخدام تلك الغرف، أيضًا، في أمور تجارية، ربما كاستراحات ونُزُل.

وتميزت بوابات حصن عصيون جابر بالضخامة، من حيث السُمك والارتفاع، وتتشابه بشكل كبير مع تلك البوابات التي وجدت في تل حلف وقرقميش، في الطبقات التي تعود لعصر سليمان عليه السلام(١٣٣)، في إشارة واضحة إلى أن نظام بناء الحصون والمباني، في عصر سليمان عليه السلام كان متقاربًا ومتشابهًا بشكل كبير(١٣٤)، وكان يتم بناء جدران الحصن من نماذج متفاوته من الطوب(١٣٥)، ومتداخله بعضها مع بعض، وبلغ ارتفاع بعض جدران الحصن حوالي ١٢ قدم(١٣٦).

وبتلك التحصينات: مثلت تل الخليفة حصن بريا وبحريا قويا، لحماية الطرق التجارية في ما بين شبه الجزيرة العربية وسيناء وفلسطين(١٣٧). وكان المدخل والمنفذ الرئيسي، في عصيون جابر، ما هو الذي في الجنوب بمواجهة البحر(١٣٨)، ومن يستطيع السيطرة على عصيون جابر يمكنه السيطرة على مناطق أخرى في فلسطين خاصة، مثلما فعل "شاشانق الأول الذي استطاع أن يستولى على عصيون جابر(١٣٩)، وتابع سيره إلى مدينة مجدو التي تتحكم، هي أيضًا، في التجارة في منطقة جبل الكرمل، وتربط بين وسط فلسطين والساحل، وملتقى التجارة الآتية من مصر جنوبًا، إلى سوريا شمالاً، ولعبت دورًا مشابهًا لعصيون جابر، فقد كانت تقع وسط هذا الهلال الذي يضم: سوريا وفلسطين

131- Jang, D., The Iron Age II City Gates in Palestine: The Textual and Archaeological Evidence, PhD, published, The Southern Baptist Theological Seminary, Kentucky Univ., 2006, p. 82.

132- Ibid., p. 98.

133- Glueck, N., *Ezion-Geber*, p.84.

134- Mashal, Z., "A Casemate-Wall at Etzion-Geber", ***BIES*** 25, 1961, pp.157 ff.

135- Glueck, N., *Ezion-Geber: Elath*, p.53.

136- Glueck, N., *The Third Season*, p. 4.

137- Ibid., p. 5.

138- Glueck, N., *Ezion-Geber: Elath*, p. 39.

139- Glueck, N., *The Third Season*, p. 5.

والأردن ومصر، وبموقعها المتميز الواقع عند مدخل وادي عرا، فكانت تُطل على جبل الكرمل الذي ينفذ على البحر المتوسط(١٤٠).

نتائج البحث:

- إن السيطرة المصرية على عصيون جابر – ذات الصلة التجارية مع سيناء– ربما لم تكن لكونها موقعاً تجارياً فحسب، بل ربما نظر إليها الفراعنة على أنها امتداد طبيعي للأراضي المصرية، وكان هناك ترابط دائم بين كل من سيناء وميناء القصير؛ وبين تل الخليفة، وهذا ما يدعم الحق التاريخي لمصر في منطقة إيلات، ومجاورتها؛ وتحديدًا " أم الرشراش".
- دعمت مصر تواجدها الكبير في منطقة أدوم وتمناء ومجاوراتها، بما فيها عصيون جابر، وظهر ذلك في بناء معبد للمعبودة "حتحور" في وادي عربة بجوار مناجم النحاس، مثل ما كان يحدث في سيناء.
- ربما فقدت مصر منطقة عصيون جابر مع ما فقدته من أجزاء إمبراطوريتها في آسيا وفلسطين، بداية من نهاية الأسرة العشرين وحتى العصر المتأخر، وهذا ما ظهر بشكل واضح من وقوع فلسطين تحت سيطرة العبرانيين.
- لم تكن عصيون جابر وليدة عصر سليمان ﷺ ، بل قامت بدورٍ مهمٍ قبل عصره، واستغل الأدوميين موقعها في تنمية تجارتهم مع المناطق المختلفة.
- لا يمكن إنكار أنها شهدت فترة ازدهار في عصر سليمان ﷺ ، ولكنها ليست الفترة الوحيدة التي كانت فيها قوية ومزدهرة.
- تنتهي علاقة عصيون جابر بالعبرانيين مع وفاة سليمان ﷺ، اللهم إلا بعض النشاط – غير المكتمل– للملك يهوشافاط، فلم تعد السيطرة الإسرائيلية على أدوم قوية، وهذا ما ظهر في الثورات المتعددة ضد الإسرائليين، حتى إن سيطرة "أمصيا" و"عزريا" لم تستمر طويلاً، بل إن الأدوميين استطاعوا الاستقلال، ولم يكتفوا بذلك، بل قدموا الدعم للملك البابلي "نبوخذ نصر الثاني"، أثناء حصاره للقدس، من باب الانتقام مما فعله الإسرائيليون بهم.
- في فترات القوة "المبتسرة" التي كانت تمر بها مصر، في العصر المتأخر، كانت عصيون جابر ضمن اهتماماتها، وهذا ما ظهر، بشكل واضح، في حملة شاشانق الأول على فلسطين، حيث كانت عصيون جابر من ضمن المناطق التي ذكرها واستولى عليها، وجاءت على لوحته المشهورة في فلسطين، وظهر أيضًا بوضوح مع عصر الملك "تخاو الثاني" – ثاني ملوك الأسرة السادسة والعشرون– الذي استولى عليها واستفاد من موقعها الجغرافي المتميز.

١٤٠– عماد عبد العظيم أبوطالب: مدينة مجدو بفلسطين دراسة تاريخية حضارية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنيا، ٢٠١٤، ص ١٤٨.

- حاول الكثير من القوى التي استولت على عصيون جابر حمايتها وتحصينها، لأهمتيها التجارية، ولكونها مركز دعم لوجيستي وتموين للتجارة المارة بها .
- لم تقتصر أهمية عصيون جابر على بكونها موقعاً وميناءً تجارياً، بل تم توظيفها في بعض الفترات كحصن عسكري، وتم تحصينها بقوة، من أجل حماية المدينة نفسها كملتقى تجاري مهم، ومن أجل حماية حدود الدولة التي كانت تسيطر عليها، خاصة وأنها تقع على أطراف البحر الأحمر وخليج العقبة، وتعد منفذًا مباشرًا للبحر.
- منحت كل تلك المزايا، التجارية والعسكرية، لعصيون جابر دورًا مهمًا في إقامة علاقات متميزة، على المستوى التجاري، تحديدًا مع مصر وشبه الجزيرة العربية واليونان، وبلا شك مع مناطق ساحل البحر المتوسط.

قائمـة الاختصـارات

BA: *the Biblical Archaeologist .Amer. School of Oriental Research (Ann.Arbor, Mich., New Haven).*

BASOR: *Bulletin of the American Schools of Oriental Research in Jerusalem and Baghdad, (New Haven).*

BIES*: Bulletin of the Israel Exploration Society.Jerusalem.*

BIFAO: *Bulletin de l'Institut Français d'Archéologie Orientale (Le Caire)*

DG: *Gauthier (H) Dictionnaire des Nomes Géographiques 7 Vols, 1925-1929(le Caire)*

ErIsr*: Eretz-Israel. Archaeol. and Geogr. Stud. Bialik Inst. (Jérusalem).*

EVO*: Egitto e Vicino Oriente*: *de Pisa Univ.Roma.*

IEJ:*Israel Exploration Journal . Jerusalem.*

JAOS:*Journal of the American Oriental Society (New Haven)*

JBR: *Journal of Bible and Religion.*

JEA: *Journal of Egyptian Archaeology. Egypt Explor. Soc. (London).*

JES: *The Journal of Educational Sociology.*

JQR: *Jewish Quarterly Review.(Philadelphia- Penns)*

OEANE: *Oxford Encyclopedia of Ancient Near East, Oxford, 1997.*

Orientalia: *Orientalia Comment. Periodici Pontif. Inst. Biblici. Rome .*

PEQ: *Palestine Exploration Quarterly, (London).*

RDSO*: Rivista degli studi oriental.*

Syria: *Syria, Published by , Institut Francais du Proche-Orient,(Paris).*

ZDPV:*Zeitschrift des Deutschen Palästina-Vereins. Deutsch. Evang. Inst. für Altertumswiss, Wiesbaden.*

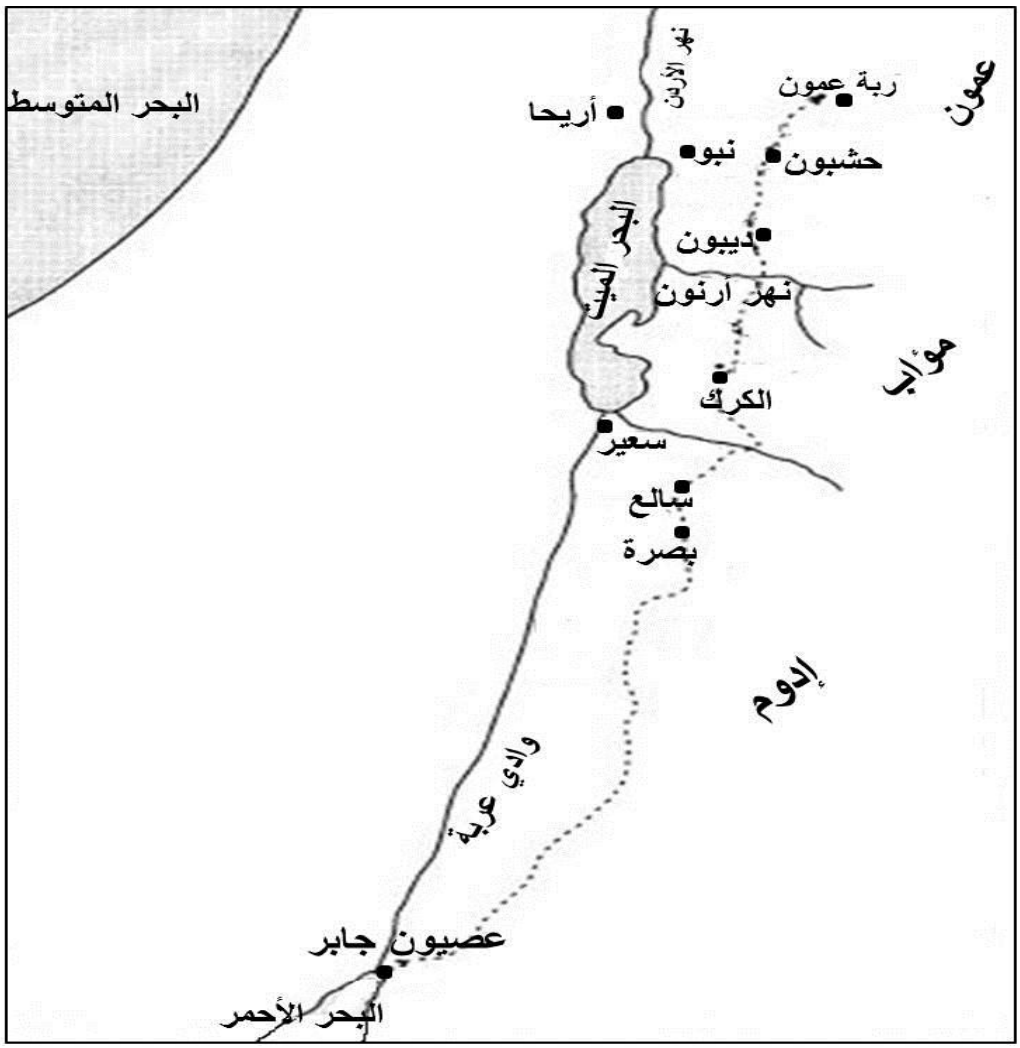

خريطة رقم (١) ممالك شرق الأردن وموقع تل الخليفة "عصيون جابر" نقلاً عن:

MacDonald, B., "East of the Jorden", Territories and sites of the Hebrew Scriptures, Boston, 1939, Fig. 8.

تعريب الباحث

شكل رقم (١) موقع تل الخليفة عام ١٩٣٨

Pratico, G., Nelson Glueck's 1938-1940 Excavations at Tell el-Kheleifeh:

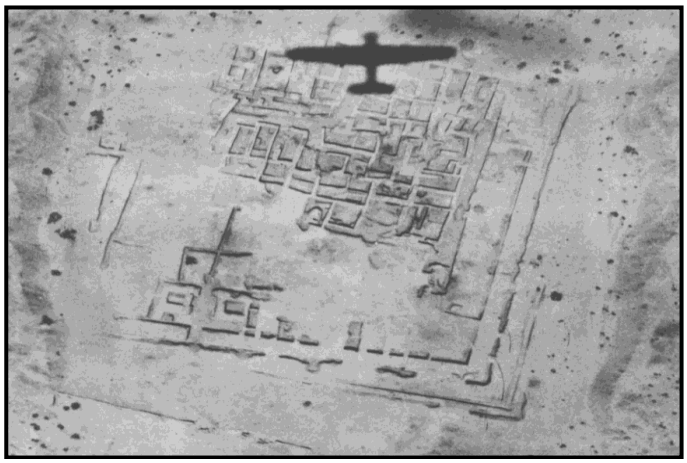

شكل رقم (٢) موقع تل الخليفة عام ١٩٣٩

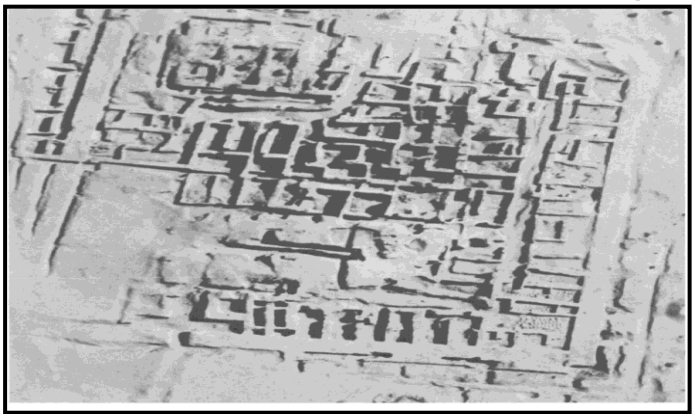

شكل رقم (٣) موقع تل الخليفة عام ١٩٤٠

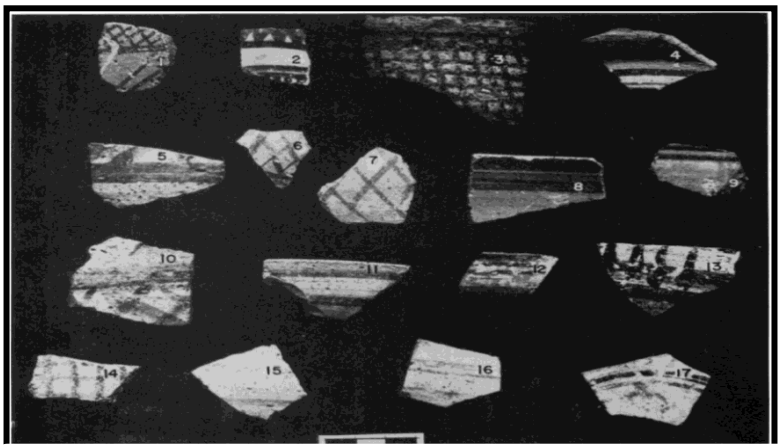

شكل رقم (٤) نماذج من قطع فخار إدومي من تل الخليفة
Glueck, N., Some Edomite Pottery from Tell el-Kheleifeh, Fig. 2.

شكل رقم (٥) حوائط لصوامع غلال في عصيون جابر
Glueck, N., Ezion-Geber, p. 69

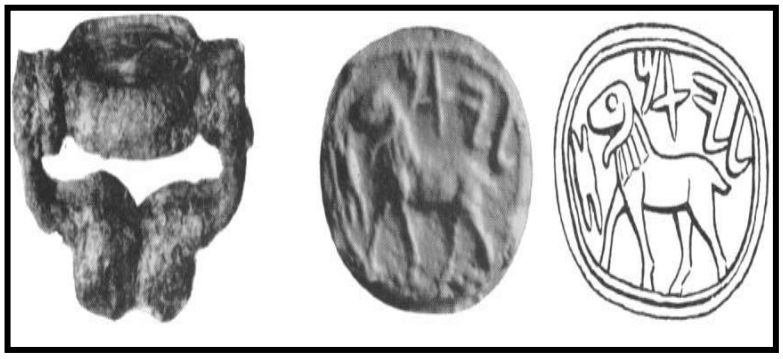

شكل رقم (٦) ختم خاص بملك يهوذا " يوثام"
Avigad, N., The Jotham Seal from Elath, , Fig. 1-3

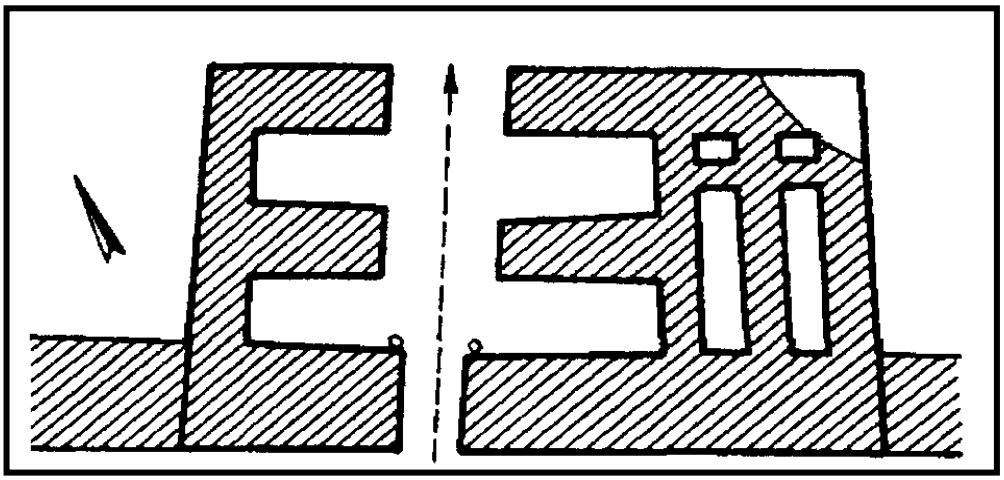

شكل رقم (٧) بوابة حصن تل الخليفة في العصر الحديدي

Jang, D., The Iron Age II City Gates in Palestine, Fig. A 23.

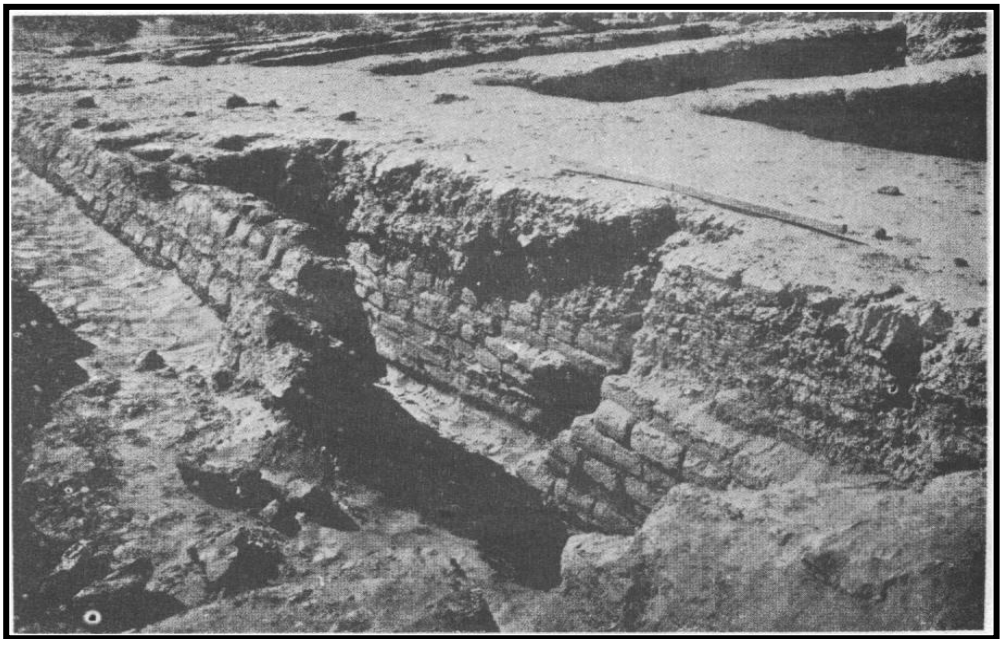

شكل رقم (٨) جزء من حائط حصن تل الخليفة

Glueck, N., The Third Season of Excavation at Tell el-Kheleifeh, Fig. 2.